مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

سيميائية الخطاب السياسي العربي
نظرة في مشكلات التأويل في الخطاب الثوري السوري

أبحاث اجتماعية

مالك عيطة

06 حزيران/ يونيو 2017

مركـز حرمـون
للدراسـات المعاصـرة

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسّسة بحثية وثقافية وإعلامية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصًا الواقع السوري، وتهتم بالتنمية الثقافية والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان، إلى جانب تقديم الاستشارات والتدريب في الميادين السياسية والإعلامية للجهات التي تحتاج إليها في المجتمع السوري انطلاقًا من الهوية الوطنية السورية.

يعمل مركز حرمون للدراسات المعاصرة لتحقيق أهدافه من خلال مجموعة من الوحدات التخصّصية (وحدة دراسة السياسات، وحدة البحوث الاجتماعية، وحدة مراجعات الكتب، وحدة الترجمة والتعريب، وحدة المقاربات القانونية) وعددٍ من برامج العمل (برنامج الاستشارات والمبادرات السياسية، برنامج الخدمات والحملات الإعلامية وصناعة الرأي العام، برنامج دعم الحوار والتنمية الثقافية والمدنية، برنامج مستقبل سورية)، ويمكن للمركز أن يضيف برامج جديدة بحسب حاجة المنطقة والواقع السوري، ويعتمد المركز آليات متعدِّدة في إنجاز برامجه، كالمحاضرات وورشات العمل والندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية والنشر الورقي والإلكتروني.

الدوحة، قطر
+974 44 885 996
غازي عنتاب،تركيا
+90 342 326 5112
harmoon.org

مالك عيطة

باحث في السيميولوجيا والخطاب السياسي، سوري مقيم في تولوز/ فرنسا.

المحتويات

ملخص الدراسة 4

مقدمة 5

أولًا: الإطار المنهجي للدراسة 6

1- مشكلة الدراسة وأهميتها 6

2- أهداف الدراسة 6

3- أسئلة الدراسة 7

4- مفهومات الدراسة 7

5- منهج الدراسة 8

ثانيًا: القسم النظري 9

الخطاب السياسي، التأويل والتأويل المضاد 9

1- الخطاب السياسي والتأويل 9

2- التأويل غير الموضوعي 10

3- الوعي الجمعي والدقة 11

4- الخطاب السياسي في ظل الثورة السورية 13

صعوبة تحديد خطاب ثوري سوري واضح 13

ثالثًا: علم السيميولوجيا أو السيميائية 15

1- التحليل السيميائي للنص 15

2- دور السيميائية وتأثيرها في السياسيين والأحزاب السياسية 16

3- دور السيميولوجيا في فهم الخطاب السياسي 17

رابعًا: القسم العملي 20

السيميائية التطبيقية 20

1- سيميائية الحوادث ومشكلة الزمان والمكان 20

2- مشكلة الزمان والمكان في البعد السيميائي لمجزة خان شيخون..... 22

3- تفاعل الخطاب السياسي مع منطقه السياسي 22

4- معاينة سيميائية لجزء من التصريح الرسمي الروسي بعد مجزرة خان شيخون..... 23

التحليل السيميائي لبنية التصريح 23

صناعة العدو: مقاربات (المطلق) و(النسبي) بحسب أمبرتو أيكو [0] 24

خاتمة 25

المصادر والمراجع..... 26

المراجع باللغة العربية..... 26

المراجع باللغة الفرنسية 26

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهمية وجود مرجعية روائية ثورية للخطاب السياسي ضمن قراءة سيميائية للنص السياسي العربي والسوري خصوصًا بعد حصول حدث تاريخي مهم بمثل الثورات العربية.

وتهدف أيضًا إلى التفريق بين المرجعية التاريخية والمرجعية الثورية للحدث الإخباري ضمن مفهوم ثنائية المكان والزمان، أي المقارنة بين النص السياسي والحدث الإخباري ببعده السيميائي. وتتناول الدراسة موضوع الحبكة التاريخية في الخطاب السياسي، وتجذره في المفهومات الأيديولوجية إضافة إلى العامل الزمني وتجذره في عمق التجربة الثورية. ونشدد على عوامل غياب الفلسفة التفسيرية وتأثيرها في النص السياسي، الفلسفة التي يمكن أن تفتح لنا المجال للإجابة عن كثير من الأسئلة التي تخص علاقة الخطاب السياسي، وتداولها بين النخب والعامة بمثل الرد والتعامل مع نظريات المؤامرة والبروباغندا السياسية لتفادي عملية الخلط، وكيفية المحافظة على بنية خطابية سياسية موضوعية. وأخيرًا، الدور الذي يؤديه الخطاب السياسي في بناء جامع حضاري وثقافي لتفادي انفصال الواقع عن الثقافة الذاتية. تحلل الدراسة خطاب المتحدث باسم وزارة الدفاع الروسية بعد مجزرة خان شيخون باستخدام أدوات السيميائية لتفكيك بنية الخطاب، ومن ثم توضيحه.

مقدمة

ثمة قواعد مختلفات لفهم النصوص السياسية في منهج تحليل الخطابات السياسية، أهمها استخدام أدوات علم الدلالات، وذلك لأهميتها في تحديد الإجراءات المناسبة للتحليل. إنّ الخطاب أو الخطاب المضاد يُنشئ في بعض الأحيان اختصارات فكرية -بدرجات بنيوية متفاوتة- تشبه بنية الخطابين كليهما في مستوى (المنطوق) و(المفهوم)، وهذه الاختصارات هي ما يعوق عملية فهم الحوادث السياسية، وإنشاء خطاب منطقي، وهذه الإجراءات ليست إلا نوعًا من أنواع التبسيط الذي يحارب التزييف.

إنّ وجود صراعات سياسية وأيديولوجية في منطقة تجتاحها الحروب أدى إلى تثبيت (الخطاب العنيف) الذي يدعي امتلاك الحقيقة في فهم الحوادث والتصريحات السياسية، وهو مرض يصاب به كل من يتلهف إلى الخطابات الأيديولوجية والديماغوجية ويتأثر بها [1]. ربما يتساءل بعضهم: لماذا يوجد مصفقون للخطابات الديماغوجية؟ أو كيف نتعرف إلى ما هو ديماغوجي شعوبي أو نمايزه مما هو منطقي دلالي يصف الواقع و يخدم القضية؟.

إن ما تسعى له أي دائرة سياسية أو ثقافية هو فهم النص والخطاب السياسي، لكشف السياقات والألغاز التي تختبئ وراءها البروتوكولات السياسية أو الوعود الكاذبة.

نسعى في هذه الدراسة لتعريف القارئ بما يدور حول النص السياسي من مشكلات، ووضع بعض المفهومات والأدوات أمام عينه، ما يعين على إنجاز قراءة حديثة تسمح بفهم منهج تحليل الخطاب، وتحديد السياقات.

---

[1] Hannah Arendt, La crise de la culture,(folio, Paris,1961), p. 380.

أولًا: الإطار المنهجي للدراسة

1- مشكلة الدراسة وأهميتها

مشكلة فهم الواقع السياسي الذي تعيشه سورية والدول العربية مرتبطة أصلًا بالرموز الفكرية واللغوية والحضارية، ما دام معنى (الفهم) -نقصد هنا الأفكار والمعاني لا التجارب- يرتكز على تحديد (المحتوى) بحسب المدرسة الديكارتية وكذلك الأفلاطونية، من مبدأ «حددوا مصطلحاتكم تستقيم أموركم». مشكلة الفهم السياسي للخطاب مرتبطة بالأدوات اللغوية التراثية التي ظلت مسيطرة على الثقافة العربية، وبخاصة أنّ الحضارة العربية هي حضارة النص[2]. فتردد المعارضة في فهم تصريح سياسي غربي أو روسي على سبيل المثال أو سيطرة أفكار المؤامرات على الخطابات السياسية معظمها في العالم العربي، يعد جزءًا من مشكلة فهم النص. ثم إن من يدعي الخروج من هذه العقد التي سيطرت على الفهم الجمعي العربي، لا يدرك بأنه استبدل بالخطاب السائد خطابًا تلفيقيًا أو رومنسيًا لمواجهة أيديولوجيات الثورات المضادة، ذلك الخطاب الذي يفتقد إلى صدقية منطقية على أرض الواقع تحاكي المشكلات الحقيقيات في المنطقة.

2- أهداف الدراسة

تحاول هذه الدراسة التشديد على محاولة فهم العلاقة التي تجمع الخطاب السياسي بالتأويل من الناحية السيمائية. والسيميائية هي علم الرموز والدلالات والإشارات اللغوية وغير اللغوية، إذ تحاول أن تكشف عن المفهومات والاتجاهات بتحديد السياقات (الداخلية والخارجية واللغوية) للنص. تعد السيميائية من أهم العلوم الاجتماعية واللغوية التي تحاول استنباط ما أمكن استنباطه في النص لتحديد النسق الفكري بفهم التصورات التي تتجاوز النص، وليصبح القارئ والمتلقي على وجه التحديد مشاركين في عملية التحليل والتأويل من خلال نظام العلامات[3]. فمحاربة نظريات المؤامرة والبروباغندا السياسية لا تتأتى إلا برد منطقي يلائم السياقات السياسية التي تجتاح العالم العربي. في دراستنا لن نتطرق إلى نظريات المؤامرة أو البروباغندا، إنما إلى فهم الحدث السياسي الذي يعدّ المصدر الأساس لفهم آليات التحليل والتأويل للنص المدروس.

وفي حالة تطبيقية، سنحاول أن ندرس بالتحليل تصريح وزارة الدفاع الروسي بعد مجزرة خان شيخون الكيمياوية.

---

[2] راجع: حسن حنفي، من النص إلى الواقع، (د.م، د.ت)، ص1054

[3] Umberto Eco, Les limites de l'interprétation, (Grasset, Paris), p.408

3- أسئلة الدراسة

- كيف نفهم النص السياسي؟
- ما المشكلات التي تعوق نشوء خطاب سوري ثوري جامع وموحد؟
- ما السياقات التي تحدد تأويل الخطاب أو النص السياسي؟
- ما دور المراحل الزمنية والمكانية في تحديد توجه الخطاب السياسي؟
- كيف يمكن تحديد العدو المطلق والعدو النسبي لتصريح المتحدث باسم وزارة الدفاع الروسية بعد مجزرة خان شيخون؟
- كيف يساعدنا علم السيميائية في فهم بنية الخطاب السياسي؟

4- مفهومات الدراسة

- علم السيميولوجيا أو السيميائية: هو علم يدرس أنساق الرموز والدلالات والإشارات سواء كانت لغوية (اللغات الطبيعية) أم خارج محور اللغة (اللغات الاصطناعية) وتعدّ اللسانيات جزءًا من السيميائيات التي لا تهتم سوى بالقواعد والأدلة والمعاني والاشتقاقات الموجودة في اللغة. ويعد (الزمخشري) أول من لامس هذا العلم في الحضارة العربية، وعرف اليونان القديم على يد أفلاطون بعضًا من أساسات هذا العلم.

- التأويل: هو العملية التي تدور حول المعاني والتفسير ويعود الأصل اللغوي لكلمة التأويل إلى كلمة (أوّل)، ومن هنا تأويل الكلام يعني الرجوع به إلى أصل المعنى. وهنا تبرز مشكلات التأويل الدائمات والمتجددات، إذ إن أصل مرجعية المعاني ثابت عند بعضهم، بينما هو متحرك بتحرك (الفكر) عند آخرين. في دراستنا نعتمد على أنّ المعاني متحركة، لأن النص السياسي هو نص براغماتي متحرك.

- الخطاب السياسي: هو خطاب مرتبط بطريقة ما بالسياسة والسلطة السياسية، وعادة ما يكون الخطاب السياسي موجهًا للرأي العام أو لمجموعة من الناس، بقصد البرهان أو الإقناع بوجهة نظر سياسية. يعدّ الخطاب السياسي من أكثر الخطابات عنفًا، فهو موجود في حلبة الصراعات الفكرية بين مختلف القوى السياسية أو بين السلطة والشعب في حال وجود حرية للتعبير بينما في الدول الأقل ديمقراطية يعدّ الخطاب السياسي خطاب بروباغندا [4].

[4] Judith Butler, Le pouvoir des mots, politique du performatif, (édition Amsterdam, Paris,2004), p.287

5- منهج الدراسة

- هذه الدراسة هي دراسة نظرية من حيث التفصيل وتطبيقية من الناحية التجريبية. واعتمدنا على مقاربات ومقارنات بالنصوص الأدبية والفكرية والدينية للفهم والتجريب على النص السياسي العربي، فعلم السميولوجيا هو علم حديث النشوء واختصاصه في مجال السياسة محدود عالميًا لأن تطبيقه مقتصر على مراكز البحث الجامعي.

- ارتكزنا على بعض المخططات المستوحاة من الدراسة نفسها لغياب مراجع عربية وغربية مختصة بالنصوص العربية لمحاولة تبسيطها للقارئ.

- ثم إنّ للدراسة بعدها الفلسفي لأن علم السيميولوجيا يُعرّف _في بعض الأحيان_ بأنه علم فلسفة اللغة نفسه.

ثانيًا: القسم النظري

الخطاب السياسي، التأويل والتأويل المضاد

1- الخطاب السياسي والتأويل

القراءة، والاستماع ومشاهدة وسائل الإعلام تثبت لنا بطريقة ما وجود شبكة اتصالات سياسية بين الناشر/المرسل والمتلقي. هذه الاتصالات بحسب (بورديو) هي تمثيلات رمزية موجودة في الحقل العام. ثم إنها -أي الاتصالات السياسية- تبني علاقات متبادلة تهدف إلى السيطرة الرمزية من الناشر في وسائل التعبير اللغوي والكلمات الرنانة. هذه التعبيرات اللغوية لا تقتصر على كلمات، وإيحاءاتٍ، وكتابات مقروءة أو مسموعة، بل على بنية تعبيرية شاملة ذات طابع ميكانيكي إذ تتحول لغة الاتصال السياسي إلى خطاب سياسي. وتعتمد نظرية بورديو أنّ النظام الاجتماعي يتفاعل على أساس اجتماعي- ثقافي في آن معًا، وهو المسؤول عن إنتاج صور رمزية تعبر عن المحتوى اللغوي وهذا المحتوى اللغوي يشمل أيضًا دائرة الصمت والسكوت في بنية الخطاب [5].

من المهم بمكان الإشارة إلى أنّ النص السياسي هو نص براغماتي يحتوي على بروتوكول لغوي يشبه الأسلوب البلاغي- في المحتوى والشكل- في الخطاب، وهذا الأسلوب البلاغي يعد وسيلة اتصال معقدة وحمالة أوجه يصعب معها تحديد طبيعة التأويل، وخصوصًا أنّ التأويل يعتمد على السياق والتاريخ، وعادة ما يتجاهل السياقات، ومن هنا تأتي براغماتية النص حيث استجلاب أو إضافة مفهومات للخطاب [6]. بينما رفض البراغماتية يعني الاعتماد على:

- المعنى الحرفي للنص أو الخطاب، إذ إنّ المعاني تعتمد على مفهوم المرجع الثقافي أو العلمي من مثل الموسوعات والقواميس.
- رفض التعبيرات المجازية والمقاربات التعبيرية.
- رفض إدخال التعبيرات المجازية في النصوص السياسية، لأنّ تلك الأنواع من التعبيرات موجودة في النصوص الأدبية فحسب، على الرغم من أنّ الخطابات السياسية تعتمد في بعض الأحيان على الفكاهة واللعب بالكلمات.

---

[5] Bourdieu. Pierre, Ce que parler veut dire, (Fayard, Paris, 1982), p. 248

[6] Marc Bonhomme, Pragmatique des figures de discours, (Honoré des Champion, Paris,2005), p.284

2- التأويل غير الموضوعي

التفسير بالرأي أو التأويل يبدأ عادة من الحقائق التاريخية والمعطيات اللغوية للنص، هذا بالنسبة إلى التراث والموروث الديني، لكن بالنسبة إلى الحوادث السياسية فالأمر مختلف تمامًا، فالوضع السياسي مرتبط بالحوادث، والوصول إلى المعنى التأويلي للنص السياسي مرتبط بالدرجة الأولى بالمعنى الموضوعي لذلك النص.[7] والنص السياسي -كما هو معروف- مرتبط بالدرجة الأولى بالجهة السياسية الداعمة له، فالسياسي المقيم في أوروبا تكون قراءته متأثرة بالموجودات الثقافية المحيطة به، وهنا مشكلة الحقيقة بمثل ما حددها (نصر حامد أبو زيد)، وهي العلاقة بين المؤلف والنص. فهل يتمكن القارئ من النفاذ إلى الجهة السياسية من خلال تحليله النص؟ ثم إنّ مهمة القارئ أصبحت حساب قيم الكاتب ومعاييره، «وهو أمر شرعي من الناحية العملية» لكن يبقي عليه في جدلية الحقيقة والكذب.

في ظل الدول الاستبدادية، تلقي المعلومة يكون عادة ضمن الخطوط العريضة للحزب أو القيادة السياسية للبلاد: أي النص السياسي مرتبط بمجموعة من المسلمات غير القابلة للنقاش، فالانتقال من المعلومة إلى الوجود المادي للحدث لا يحصل بتحليل موضوعي، إنما ضمن تسلسل منطقي عام يخدم الحزب لا الحقيقة. ثم إن مشكلة ارتباط النص السياسي بالعمل الأدبي الرومنسي جعلت النص مرتبطًا بمحور تأويلي ذاتي-أي وجهة نظر الكاتب- يتفاعل النص مع مشاعر القارئ، فتتغير بنيتها السياسية بقدر ما تغير هي من طبيعة الانفعالات التي كانت أصلًا في حالة غموض وتشوش قبل تجسدها في ذهن القارئ. إذًا، للكاتب مسؤوليتان: الأولى مرتبطة مباشرة بالنص، والأخرى العلاقة التي يريد هو بناءها بين النص والقارئ، مع ترك مجال علاقة النص بالواقع المادي للقارئ [8]. ومن هنا تنتقل مهمة الكاتب من ملقٍ إلى مبدع ومحفز، وسيحاول عندئذ القارئ والمتلقي الاستعانة بأدوات تحليلية جديدة، ويحل معضلة (القصد/ النص/ التفسير) المرتبطة أصلًا ببنية النص [9]. أي إن عملية التأويل عندئذ تكون من وظيفة الكاتب والمتلقي في آنٍ معًا، هذه الوظيفة تخدم عملية الفهم عند المتلقي خصوصًا. فيتحول النص من نص مفروض بمجموعة من الآراء إلى عملية جدلية بين الطرفين تشبه إلى حد ما عملية التفاوض لترسيم المفهومات. لكن عادة في الخطاب السياسي المتداول في الصحف والمجلات الإلكترونية يكون الرأي الصحفي مرتبطًا بقراءة واقع سياسي معين، وهذه القراءة مختلفة من جهة إلى أخرى. وهنا لا نتحدث عن الحال التي يريد الكاتب فيها طرح طاقته التنبؤية سعيًا للوصول إلى يقين سياسي واضح المعالم.

---

[7] Paul Ricœur, Le conflit des interprétations, essais d'herméneutique, (Seuil, Paris, 1969).

[8] Paul Ricœur, Le conflit des interprétations

[9] نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ط3، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1996).

الخطاب السياسي مثل سائر الخطابات، هو خطاب هادف، يحاول فيه إسقاط الحوادث منهجيًا ليتبلور وضع عام يجمع (الأنا) و(الأنت) عند المستقبل، ليتكوّن _بالدرجة الأولى_ مُدرَك عام مرتبط بالوعي الجمعي. يتكون عندئذ صراع ذاتي بين الوعي الجمعي والدقة، يتجاوز بحاله النص، أي مشكلة الوعي الجمعي والدقة.

3- الوعي الجمعي والدقة

يثير فينا النص السياسي من خلال طرحه إحساسات وأفكارًا، مواقف واتجاهات تندرج ضمن علاقة الفرد بالمجتمع التي تعتمد بالدرجة الأولى على الإدراك والانفتاح على العالم المتخيل. فالإنسان بطبعه - بحسب ما يقول أرسطو- كائن سياسي، وعلاقته بالحقيقة والتاريخ علاقة موضوعية إن كان يريد المحافظة على حركته المستمرة. فهذه الحركة هي التي تضمن لنا الاستمرار بين الماضي والحاضر. الشعوب والحشود تبحث دائمًا عن بطولات وأمجاد في الحاضر، وإلا فهي تستوحي من التاريخ ما يشبه طموحاتها، بحسب ما أشار إليها (غوستاف لوبون) في كتابه سيكولوجيا الجماهير. تلك هي ميكانيكية الهلوسات الجمعية المتكررة في التاريخ الإنساني في أوروبا إبان الغزوات الصليبية أو في حال تنظيم داعش في سورية والعراق في يومنا هذا، ميكانيكية منبعثة من لغة خطابية تعتمد على الغرائز الشعوبية، وتلك الغرائز تعتمد على السرد العام، وتحارب بدرجة واضحة الدقة. بل إن الوعي العربي الجمعي اصطدم مع الواقع العربي السياسي من تفكك وتجزؤ واستبداد، علاوة على الاحتلال، ولذلك فإنّ عملية (التوفيق) في عملية النتاج الحضاري العربي أصبحت تبحث عن الدافع النفعي المباشر، وأصبح (التوفيق) بين الفكر العربي والغربي (تلفيق) يحافظ الأخير على مركزية الإنتاج الفكري والأول على التبعية [10].

وبالعودة إلى الخطاب السياسي، ومع انكسار مرحلة النهوض القومي العربي بمشروعيها الناصري والبعثي، يكون السؤال الأهم بالنسبة إلينا هو كيف يعبر النص السياسي عن العالم؟ أو بمعنى آخر كيف نفهم النص السياسي؟.

يمتلك النص السياسي خصيصة سردية، ويعتمد على خليط واسع من المعلومات، وتكون فيه الحبكة أقرب إلى الرواية العلمية، لكن المعطيات العلمية ليست بالضرورة منصفة ولا تتناغم بالضرورة مع الحدث، فهي تعتمد مثل غيرها من النصوص على مزاجية الرسالة الذي يريد الكاتب/ المرسل توضيحها. فيمكن للحدث السياسي السوري أن يكون له قراءته الفرنسية الخاصة بفرنسا وبالانتخابات التي تدور في البلد، ومختلفة سردًا عن تلك التي تدور في الولايات المتحدة الأميركية. المادة الإخبارية التي تدور حول الوضع السوري تُستَخدم بحسب الخط السياسي للحزب أو الصحيفة، إن كانت يسارية أم يمينية، وهو أمر بدهي

[10] نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، ط5، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006)، ص 288

في عالم السياسة. لكن الحدث الإخباري في المادة هو واحد، أما تأويله فمتعدد ومختلف، وهو تأويل يفيد بالدرجة الأولى الجهة السياسية (المرسل)، موجه للشعب الفرنسي أو الأميركي خصوصًا (المُستقبل). فلا يوجد نص سياسي ذو بنية واحدة، بل إن الحبكة الروائية السياسية تعمل عمل المرجعية الأيديولوجية في المحتوى وبدرجة أقل في الشكل [11].

وتمثل اللغة شيفرة الرسالة في النص السياسي، ولا يمكن فهم النص السياسي من دون معرفة السياق الثقافي السياسي لهذه المرحلة الزمنية. فتصرف زعيمة اليمين المتطرف الفرنسية مارين لوبان عندما رفضت دخول دار الفتوى في بيروت للقاء المفتي بعد رفضها تغطية رأسها جاء ضمن سياق الانتخابات الفرنسية التي حاولت إفهام ناخبيها بأنها لن ترضخ لعادات غير (الجمهورية الفرنسية) على الرغم من أن البروتوكولات تُحَدّد قبل وصولها أصلًا إلى العاصمة اللبنانية بيروت. فلا يمكن نزع السياق الانتخابي من جملتها على الرغم من غياب الدلالات التي توحي بالانتخابات في مقولتها:

«لم تطلب مني السلطة السنية العليا في العالم هذا، ولذلك لا أرى سببًا له»، في إشارة إلى لقائها في أيار/ مايو 2015 شيخ الأزهر أحمد الطيب في القاهرة. وتابعت لوبان «لكن الأمر ليس مهمًا، انقلوا إلى المفتي احترامي، ولكنني لا أغطي رأسي» (مارين لوبان- بحسب ترجمة فرانس 24 العربية) [12].

سارع خصوم مارين لوبان إلى اتهامها باستخدام العروض المسرحية التي تغذي الديماغوجيا لأغراض انتخابية خاصة وأنها كانت على دراية مسبقًا بالبروتوكولات. ينبغي الحرص الدائم على فهم السياق السياسي للمرسل/ المخاطب، وخصوصًا أنها لا تمثل رسميًا الحكومة الفرنسية بل مرشحة للرئاسة الفرنسية لليمين المتطرف، فهي رسالة للشعب الفرنسي قبل أن تكون للمفتي أو دار الإفتاء. ومن هذه الزاوية يجب دائمًا استحضار المخاطب استحضارًا مباشرًا من النص وخارجه أي من محيطه الثقافي، وربطهما بالزمان والمكان. لماذا بيروت؟ ولماذا قبل أربعة أشهر من الجولة الأولى من الانتخابات؟

---

[11] Paul Ricœur, Idéologie et utopie, 2005, (Seuil, Paris,2005)p.432.

[12] http://www.france24.com/ar/20170221-مارين-لوبان-فرنسا-دار-الإفتاء-لبنان-بيروت-غطاء

4- الخطاب السياسي في ظل الثورة السورية

ينشأ عند تعاطينا مع النص العربي عمومًا، والسوري تحديدًا، صراعين اثنين؛ صراع داخلي من مثل المحرمات الفكرية المرتبطة أصلًا بموضوع حرية التعبير، وصراع خارجي يتمثل في علاقتنا نحن مع النص الغربي أو الأجنبي عمومًا.

وفي مجال الدلالة اللغوية تنشأ مشكلات أخريات تتجاوز النص و(الفهم) مثل الواقع السياسي بما هو واقع مرتبط بالمنتج الثقافي للبلد، إذ إن المفهومات الثقافية تصبح مفهومات (معلقة) يصعب معها _ضمن النص المحدد_ استنتاج أنماط السلوك، ومعايير المصلحة، والمنفعة، وهو حال تحديد خطاب ثوري سوري يريد أن يعبر عن الثورة من دون الدخول في تناقضات الحرب الأهلية والاقتتال السني/ الشيعي والمصالح الروسية/ الغربية المتضاربة.

صعوبة تحديد خطاب ثوري سوري واضح

لا نريد هنا الخوض في تعريف عام وشامل للثورة السورية، فهذا يحتاج إلى بحثٍ عام يتجاوز بمضمونه هذه الدراسة، فما زالت المناقشة دائرة حول ماهية الثورة السورية، وكثير من الأسئلة من دون أجوبة فعلية على أرض الواقع. فمثلًا هل نعدّ مرحلة ما بعد الثورة (السلمية) ثورة؟ وهل يمكن الحديث عن وجود خطاب (ثورة سلمية) يقابلها في ما بعد خطاب (ثورة عنيفة)؟ ما زال هذا قيد الكتمان أو المناقشة الجزئية بين أوساط الفاعلين والسياسيين المحسوبين على الثورة، وعليه فما زال من المبكر الحديث عنه. الصعوبات التي تواجه وجود جسم أو كيان خطابي ثوري واضح في الثورة السورية يعود إلى أسباب شتى:

1- غياب التفريق بين الواقعية السياسية والطوباوية السياسية في منظور الخطاب السياسي العربي.

2- لا وجود لجسم ثوري واحد، وتترنح الخطابات بين أجسام مقاتلة وأجسام أخر سياسية لا يجمعها في أضعف الإيمان سوى إزالة النظام، لكن كل على طريقته وأجنداته وارتباطاته بوعود دول لم تتفق أصلًا على شكل سورية المستقبل.

3- غياب مفهوم عام للدولة ومشروع واضح في ما يخص الطريقة في انتقال السلطة من سورية الأسد إلى سورية الدولة عند المعارضة السورية بسبب تعقيدات تتجاوز التنظير السياسي، ما خلق عند المتابع العربي والغربي الشعور بازدواجية في تبني خطاب ثوري واضح بمثل الجمع بين الديمقراطية والعلمانية والمدنية والإسلام. كيف لدولة شمولية دكتاتورية أن تصبح دولة ديمقراطية؟ هل الإسلام السياسي يمكنه أن يتفاعل مع الدولة المدنية على أساس ديمقراطي؟ وهل النخب ديمقراطية؟ كيف يمكن إنشاء ديمقراطية عربية معتمدة على التراث القبلي والعشائري مثلًا؟ هذه الأسئلة ما زالت تعاد وتتكرر من دون

تجارب فعلية على أرض الواقع، وأصبحت لغة التمني بأدواته الرومانسية هي أصل أغلب الخطابات السياسية، أوجدت الحالة العربية خطابات بالونية ورومنسية يجري التعامل معها على أساس عام. هذه الجدليات لم تبنَ على أساس ثقافي عربي إسلامي عام بل ما زالت أسيرة التأثر التاريخي والمستمر بالدول المهيمنات.

4- الثورة ما زالت مستمرة في نظر بعضهم: لأنها لم تحقق بعد النتائج المرجوة من حرية وعدالة، والحديث عن خطاب جامع وموحد للمعارضة السورية لم يعد أولوية الواقع السياسي المعقد في المنطقة.

5- الثورة السورية مرتبطة بالتغيرات الإقليمية والدولية، وهذا ما زال قيد التغيير.

6- للثورات مفهوماتها الخاصة عند المؤرخين، إذ إن الحوادث مرتبطات بتزامن مختلف عما هو مفترض عند السياسيين، إذ تُراجع الحوادث التاريخية الكبريات، وتربط بسياق زمني واحد [13].

7- لم تسمح الحالة الإقليمية والدولية بتكوين طرف ثوري واضح لأسباب كثيرة، أهمها استراتيجيات تلك الدول ذاتها. ما يصعّب تحديد جسم ثوري معتمد داخليًا وإقليميًا.

8- غياب دراسات عربية سوسيولوجية وسياسية وتاريخية مستقلة بسبب طبيعة الأنظمة العربية ما أدى إلى خلل في تحديد بنية المشكلات الاجتماعية في العمق العربي، ويُعتمد دائمًا على مراجع وأرقام من مراكز بحوث غربية.

9- فصل حركة الثورات العربية عن تاريخية الخطاب النهضوي العربي وتلويثه المستمر بنظريات المؤامرة. أي الاستمرارية في مهاجمة الخطاب النهضوي العربي [14].

10- غياب حركة ثقافية متزامنة مع حجم التضحيات العربية، أي ما زالت النخبة العربية غير ديمقراطية بمثل ما أشار إليها الدكتور (عزمي بشارة).

11- عملية الرد المستمرة على خطابات أيديولوجية تتبنى الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي ظاهريًا، وتحارب الثورات العربية مثل حال بعض الأحزاب اليسارية العربية أو الرد على خطابات ذات بنية طائفية تتمركز حول الصراع السني- الشيعي وهذا ما يقوي خطاب مسار الثورات المضادة، ويفقد الخطاب الثوري حضوره الفكري.

وعليه، فإنّ نتائج الثورات في الوطن العربي ما زالت مجهولة، لذلك من غير الممكن انتزاع خطاب ثوري واضح، ودرسه على أساس سيميولوجي مفهوم.

---

[13] Paul Ricœur, Idéologie et utopie, p.432.

[14] راجع حسن حنفي، التراث والتجديد.

ثالثًا: علم السيميولوجيا أو السيميائية

1- التحليل السيميائي للنص

علم السيميولوجيا أو السيميائية في اللغة العربية هو علم يدرس محتويات المعنى، فهو يعنى بأنساق العلامات أو الرموز كلها، ويعد (فريديناند دي سوسير) مؤسس المدرسة البنيوية في اللسانيات، أول من عرّفها، والفرنسي (جوليان غريماس) هو من أهم من وضع قواعد التحليل السيميائي.

عمومًا عند قراءتنا للقصة أو تحليلنا لخطاب ما، فاعتمادنا الأول ينصب على الشخصيات والجهات الفاعلات في الحوادث، والتحليل السيميائي يقترح لنا دراسة تلك الشخصيات من وجهة نطر داخلية للنص، نقصد هنا، علاقة تلك الشخصيات والجهات الفاعلة بعضها ببعض، ودورها في بناء القصة، والحبكة، والخطاب أو الرواية ومن ثمَّ فإن أي جهة فاعلة هي مستقلة عن بقية الجهات الفاعلة بالنص [15].

وهنا يمكننا القول إن تلك العلاقات بمجملها هي علاقات ذات بعد سيميائي. وفي هذا قدم (بروب) في دراسته للحكايات الشعبية الروسية في كتابه (مورفولوجيا الحكاية الشعبية) فرضية تقول إنّ تغير أسماء شخصيات الحكاية إلى أسماء افتراضية أخر لا يغير من مجرى حوادث الحكاية، وأنّ الحكاية يمكنها أن تستعير أسماء أخرًا، أي إن الثابت هو أفعالهم ووظائفهم، وهذا ما يسمح بدرس شخصيات الرواية أو الحكاية ضمن نطاقها الداخلي أو في ما يسمى سيرورة الحبكة، وذلك يسمح باستكشاف الأنساق البنيوية واستجلاء مكوناتها [16].

يعتمد التحليل السيميائي في درسه المادة على مستويات متعددة، يبدأ بالظاهر، وينتهي بالمضمون المادي للنص، وتعتمد أيضًا على مقاربات ومستويات عدة:

أ. المستوى السطحي: وهو المستوى الذي يعنى بالفقرات، والتدقيق اللغوي، والترقيم وغيرها. هذا المستوى يقوم بتنظيم الهيكلية الظاهرية للمادة أو النص أي بمعنى أكثر دقة التوزيع الصحيح لكل ما هو مسؤول عن إنتاج المعنى.
ب. المستوى البلاغي: الذي يعتمد على الأسلوب بشكله العام.
ج. المستوى العاملي أو الفاعلي: أي العلاقة النسبية بين الشخصيات والجهات الفاعلة التي تضمن فاعلية الخطاب وحيويته.

---

[15] Marion Sandré, Analyses du discours et contextes, (Université de Limoges,2007) p.218.

[16] Vladimir Propp, Morphologie du conte, (Seuil, Paris,1928), p.254.

د. المستوى التصنيفي: الذي يعتني بالتركيبة الجزئية والعميقة للمعنى ضمن هيكلية منطقية وهو أعمق المستويات من حيث الدلالة. يعمل هذا المستوى ضمن المحور الشاقولي الدلالي للمعنى، وهذا المحور يبنى على علاقة منطقية وتضادية [17].

2- دور السيميائية وتأثيرها في السياسيين والأحزاب السياسية

يمتلك علم السيميولوجيا أو السيميائية خاصية تمايزه من بقية العلوم، إذ يمتاز بتفاعله مع المجالات كافة بما فيها العلوم التقنية. لكن في ما يخص الساسة فإن السيميولوجيا تطرح خططًا واستراتيجيات تخص المنتج والمتلقي في آن معًا. هذا الطرح يفيد بالدرجة الأولى الجزء التحليلي، ومن ثم يبني استراتيجيات وبرامج وسيناريوهات تفيد الطرفين (المنتج والمتلقي) بناء على ما توصلت إليه نتائج التحليل.

ومعاينة التنافس الذي يحصل بين وسائل الإعلام والسياسي الضيف على سبيل المثال تربك أحد الطرفين أو كليهما، وتحرج السياسي غير المتمرس في الدخول في استراتيجيات لا تخصه، وهذا ما نشاهده في البرامج المرئية، إذ تُغيب الفكرة، وتُشَوّه، ويدخل الحوار في جوانب شخصية تبتعد عن المحور العام. تتناثر الأفكار، وتكثر الخطب عن الفضيلة، ويكثر الجدل، وهذا لا يدل إلا على تعصب وادّعاء.

واللغة المستخدمة من السياسي يجب أنّ تكون مرتبطة بالسياق السوسيو-سياسي المعاصر، وعلى هذا الأساس يمكن إجراء بنية تحليلية مفيدة، ومن ثَمَّ فإنّ درس الأسلوب واللغة التي يستخدمها السياسي باستخدامه لأدوات السيميولوجيا قد يخلق عنده منهجية ذاتية تصحيحية، يبتعد فيها عن التكرار والحشو، وما يلمس بنيته الفكرية كله.

حقل السيميولوجيا واسع فهو يخص كل ما ينتج إشارات ورموز، لا يختص فقط بالكلمات أو بعلم الدلالات، إنما الايماءات والصور والمفهومات المجردة، وصولًا إلى الأفكار. ويمتلك أدوات أساسًا في النقد التحليلي في ما يخص عالم الرموز والمعلومات [18].

قسّم دي سوسير الرمز إلى دال ومدلول، فالدال هو الصوت أو الحرف المكتوب بينما المدلول هو الصورة الذهنية للشيء المراد قصده، وهي العلاقة الواضحة بين اللفظ والشيء والرمز، على الرغم من أنّ الجاحظ أيضًا فرق بين اللفظ والمعنى «اللفظ للمعنى جسد والمعنى للفظ روح» في كتابه (البيان والتبيين)، وهي مصطلحات ومعانٍ لم يرجع الباحثون العرب إليها، وهذا بحث آخر يخص علاقة الرمز بالتراث.

---

[17] Louis Panier & Jean-Claude Giroud, Analyse sémiotique des textes, (Presse Universitaires de Lyon, 1977), p.205.

[18] A.J, Du sens Greimas, Essais sémiotique, (Seuil, Paris, 1970).

إنّ التعامل الصحيح مع الرموز يسمح للكائن البشري ببناء علاقات صحيحة بين كل من الفكرة والشيء والمفهوم، وهذا ما يمايزه من بقية الكائنات [19].

ثم إن الخطاب السياسي هو خطاب جامع ومتبعثر من مجموعة خطابات تحيط بمجالات مختلفات اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وجيوسياسية وغيرها، وعملية الربط بين هذه المجالات كلها في غاية التعقيد والخروج ببناء متناسق عادة هو جهد إضافي يقوم به المتكلم للحصول على بنية خطاب متماسك يتجنب فيه الثغرات.

فالمعنى يحتوي برأي (جان فرنسوا بوردرون) على معنى سلبي علينا التخلص منه، وهذا المعنى يدفعنا بالدرجة الأولى إلى إضافة مفهومات جديدة إلى النص، ما يسمح لنا بفتح مجال التأويل. وعليه، فإن الخطاب السياسي يحتوي على صيغة يسيطر فيها التفسير والتأويل على حيز كبير، لتكون تلك التأويلات مفاتيح جددًا للمراجعة والتدقيق. وخلافًا للفلسفة التفسيرية، فإنّ علم السيميولوجيا يعد النص متفاعلًا مع الوجود المادي الذي يمكن أن يترك من خلالها أثرًا مرتبطًا بالماضي أو الحاضر أو حتى في المستقبل. يمكن للنص السياسي أن يبني علاقات تفاعلية مرتبطة بنصوص أخر بصوره الأدبية، التاريخية. إذًا، علم السيميولوجيا يفتح المجال لدراسات سيميولوجية داخلية [20].

3- دور السيميولوجيا في فهم الخطاب السياسي

السيميولوجيا تراقب المجتمع اعتمادًا على الخطاب واللغة الموجودة في الخطابات السياسية والأدبية والفنية، ولا ننسى البعد الديني فلطالما كانت ثقافتنا هي ثقافة النص (الديني). تقوم بنية السيميولوجيا الغربية على أساس البنية الأدبية المرتبطة بالأسطورة الإغريقية التي تجاوزت في يومنا هذا معايير مرحلة بعد ما بعد الحداثة. لذلك من التشويه اعتماد السيميولوجيا الغربية أساسًا في ترقية النظرة السيميائية العربية. أي درس الخطاب العربي ضمن أدواته العربية لا غير، وهو ما زال غائبًا حتى الآن. فالسيمائية لها من الأدوات ما يسمح لها بتحديد المراحل التاريخية للخطابات السياسية العربية، وتقسيمها منذ تاريخ العرب الجاهلي إلى يومنا هذا، بمعنى أكثر دقة دراسة تاريخية شاملة ومفصلة عن تطوير اللغة الخطابية العربية.

---

[19] Umberto Eco; Les limites de l'interprétation, (Grasset, Paris), p.408.

[20] Biglari Amir, Entretiens sémiotiques, (Université de Luxembourg, 2014).

على سبيل المثال: دراسة كيفية انتقال العرب من خطاب تجلى فيه دار الإيمان والكفر بأدبياته السياسية في عهد الدول اللاهوتية الإسلامية إلى عهد ما بعد الاستعمار، إذ رُسِّخت أفكار الأدبيات القومية العربية في خطاباته والتقسيمات التي حددتها تلك الأيديولوجيات العربية من ناصرية وبعثية وغيرها؟ [21].

تعتمد السيميائية (السيميولوجيا) في تحليلها الخطاب السياسي على دراسة السياق وتحليله ضمن عوامله الداخلية المتفاعلة أصلًا مع الثقافات العربية أو غيرها. ومكونات هذا السياق تعتمد على مقاربات علمية أو عقلية إذا صح التعبير، ويرتب بعدئذ الباحث السيميائي التخصصات المستخدمة من نظرية وعلمية بمثل سائر التخصصات من سياسية، واجتماعية ونفسية ولغوية وغيرها، ومن ثم تطرح قضايا النسبية، وذلك عندما يُعتَمد السياق الزمني ثابتًا والنص متحركًا. تُقاس تلك القضايا النسبية عندما يقطع المحلل أو الباحث سياق النص إلى داخلي وخارجي، ونقصد بدراسة نسبية للنص، توضيح أنواع السياقات الداخلية المتحركة وصورها، لأن السياق لا يعتمد على مرجعية سياقية واحدة فقط، والنص موجود أصلًا نتيجة تدخل عامل خارجي ألا وهو المؤلف. والمخطط الآتي يشرح لنا آلية النص السياسي وتفاعله مع كل من المحلل والقارئ:

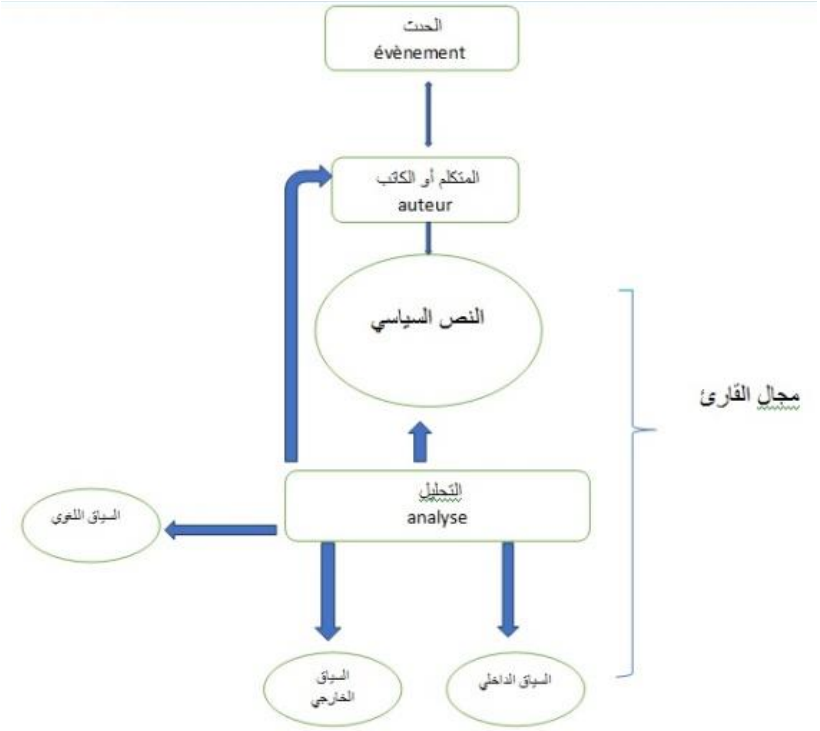

[21] راجع: محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، (د.م، د.ت).

السياق الداخلي: هو السياق المرتبط مباشرة بالنص حيث عملية التحليل والتفسير نابعة من النص لا غير، ويمكن عدّ هذا السياق عملية حوار بين كل من المرسل/ (المتكلم أو الكاتب) والنص نفسه. فينحصر الكاتب بسياق النص ومهمته تنحصر في توليد المفهومات من نص مركزي (النص السياسي المراد تحليله)، بمعنى أدق هو السياق التوضيحي أي من النص إلى النص.

السياق اللغوي: وهو السياق النحوي المرتبط بتركيبية الجمل والعلاقة بينها، وهذا السياق سنتجاوزه في دراستنا، لأنه يتعلق بقوانين النحو والنظم.

السياق الخارجي: هو السياق الذي ترتبط فيه عملية التفسير والتحليل بمقاربات واختصاصات أخريات، فتجري عملية الدمج بين المراد في النص واختصاصات متعددات تتجاوز اختصاص النص أو موضوعه الأساس، بوصفها عملية ربط خطاب سياسي ما بحوادث تاريخية أو تحليلات اقتصادية مثلًا تتجاوز الحدث. وهذا السياق يستوفي الجوانب التطبيقية للتفسير والتأويل كلها، وعليه، فإنّ عملية الحوار تدور بالدرجة الأولى بين الكاتب والعالم، وهو السياق المرتبط ارتباطًا مباشرًا بالتأويل، أي كيف يريد الكاتب توجيه أفكاره عبر النص للعالم؟ وهنا عادة ما يستخدم المتكلم أو الكاتب خطابًا تلميحيًا. فتتوالد من النص نصوص أخر ضمن آليات منطقية. ويلاحظ القارئ في هذا السياق، وجود عملية (تخاطب) هدفها الإقناع.

عملية التحليل: هي العملية التي يقوم بها القارئ أو الباحث في خضم قراءته للنص. ويجب الإشادة هنا بأنّ التحليل المتماسك مرتبط أيضًا بالحكم المسبق لسياق الخطاب: إنّ وحدة المنتج اللغوي –نقصد هنا الخطاب- مرتبطة بالموسوعة الفكرية للمنتج ذاته [22]. بالنسبة إلى (أمبرتو إيكو) فإنّ الموسوعة الفكرية للنص هي مجموعة العوامل المرتبطات بالمنتج اللغوي سواء كان مباشرًا أم لا، وهي ناتجة عن براغماتية النص من حيث المضمون، ويضاف إليها رؤية القارئ لجمالية النص، ودرجة تأثره بالكلمات والأسلوب اللغوي. وعملية التحليل هي الخطوة المجردة الأولى التي يقوم بها القارئ قبل الوصول إلى تحديد سياقات النص، ويعتمد بالدرجة الأولى على مخزونه الفكري. وعليه، يمكننا القول إنّ عملية التحليل هي عملية متبادلة بين النص وموضوعية القارئ الفكرية.

إنّ تلك العمليات الثلاث التي يقوم بها القارئ كفيلة بالوصول إلى قراءة موضوعية أو تأويل موضوعي، وعملية تحديد السياق التفسيري تُعد مرحلة أساسًا لاستنباط ما أمكن من النص.

---

[22] Umberto Eco, Lector in fabula, (Seuil, Paris, 1989), p.320.

يشار في بعض الأحيان إلى أنّ النصوص السياسية قد تقع في فخ الشمولية، أو بحسب ما سماها (نصر حامد أبو زيد) سيادة سلطة النصوص في كتابه (النص والسلطة والحقيقية). أراد أبو زيد في مقارباته التحذير من ضمور التراث، وإفقاد حيويته البراغماتية، بسبب عوامل أسماها «ركود العقل العربي»[23]. لكن ما أردنا الإشارة إليه هو وجود خاصية خطابية سياسية عربية لا تسمح بخروج النص من شموليته التحليلية وهو ما يسمح بغياب السياق الخارجي الذي أشرنا إليه سابقًا. ثم إن تحديد السياقين الداخلي والخارجي للنص بالتحليل هو محض توجه نفعي لخروج التحليلات الخطابية من المركزية الأحادية، وأن تكون النخبة المثقفة على دراية تامة بالشروط البراغماتية للنص.

رابعًا: القسم العملي

السيميائية التطبيقية

1- سيميائية الحوادث ومشكلة الزمان والمكان

حدد الباحث الفرنسي (برنار لاميزه) في درسه كارثة فوكوشيما النووية في اليابان البعد السيميائي للكارثة، ودرس مشكلة الزمان والمكان لهذه الكارثة، وكيف جرى التعامل معها في وسائل الإعلام العالمية والغربية على وجه التحديد، بافتراض أن الأخيرة -أي وسائل الإعلام- هي الوسيط بين الحدث (الكارثة) والعالم، معتمدًا على أن الكارثة قد غُطِّيت بأسلوب مختلف عن الحوادث التي كانت تجري في ليبيا إبان الربيع العربي، فقد تنبه إلى أنّ مشكلة فوكوشيما هي مشكلة مؤجلة من حيث الزمان، وأنّ خطرها لا يستدعي التدخل المباشر، بينما في حقيقية الواقع التلوث النووي والإشعاعي هو خطر للأمن و السلم العالميين بمثل الذي يجري في ليبيا، إلا أنّ المجتمعات تتعاطى مع ذلك الخطر الذي تعايشه من حيث البنية الزمنية والمكانية، فالحوادث التي تجري في ليبيا وتونس وأوكرانيا تحاكي المجتمعات الغربية أكثر من تلك التي تحدث في البيرو أو اليابان مثلًا. استنادًا إلى تلك الدراسة والمقاربة سنحاول توضيح بعض المفهومات[24].

يعتمد البعد السيميائي للحدث على دراسة العلاقة الزمنية التي يقوم بها موضوع الحدث مع تأثيره في المجتمع، أي لحظة المواجهة مع الحدث من وجهة نظر الهوية الجمعية للمجتمع.

---

[23] نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، ص 288

[24] https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00604452/document

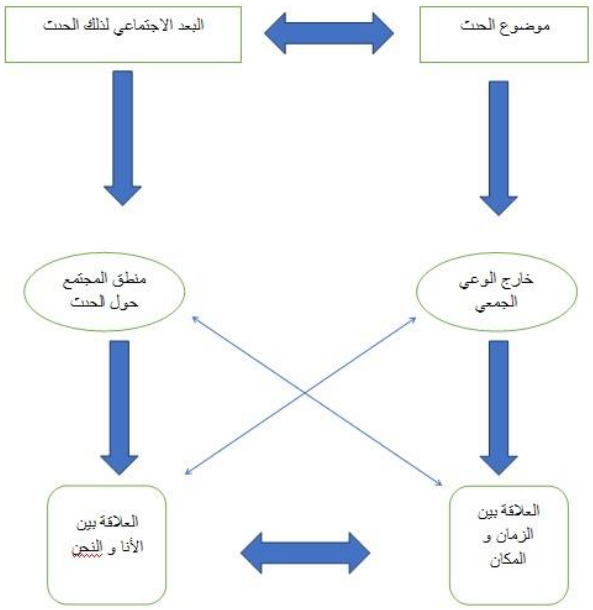

إنّ فصل الجسمين (موضوع الحدث) و(البعد الاجتماعي للحدث، ودرسهما، يسمح لنا بفهم العلاقة الرمزية للحدث، إضافة إلى فهم الارتباط الوثيق بين المكان والزمان من جهة منطق المجتمع في ذلك الحدث. إذ إن عناصر الزمان والمكان لها تأثيرات متبادلة مع منطق المجتمع ورؤيته العامة للحدث من وجهة نظر عامة، تعتمد على الصورة النمطية، والحكم المسبق إضافة إلى البعد الثقافي. ويشير المخطط إلى عناصر مثل (خارج الوعي الجمعي)، وهو ما يقصد به وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعية التي هي في الأساس في عالم افتراضي أي موجودة خارج وعي الإنسان المادي. سنحاول توضيح هذه الظاهرة في مثال مجزرة خان شيخون الكيماوية التي جرت في 4 نيسان/ أبريل من عام 2017 في سورية.

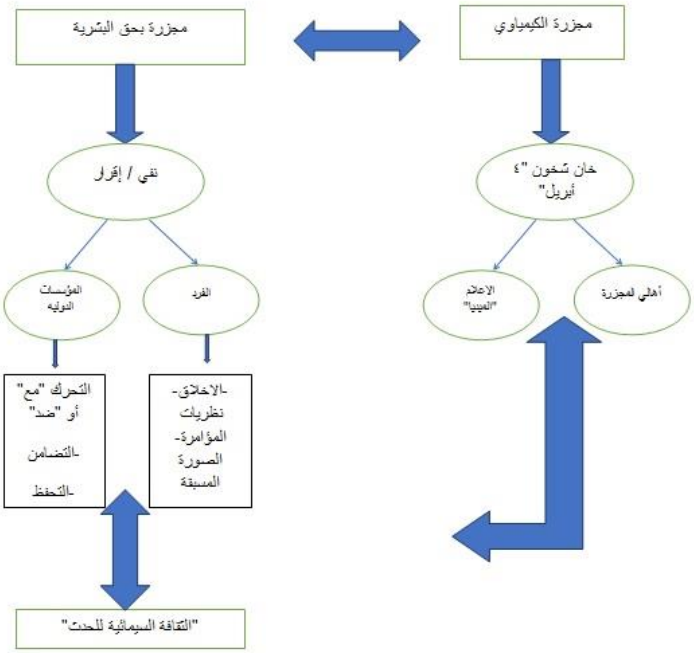

2- مشكلة الزمان والمكان في البعد السيميائي لمجزة خان شيخون

إنّ مجزرة الكيماوي التي جرى تداولها عالميًا، وبطرق مختلفات في وسائل الإعلام العالمية، أوجدت في لحظة تناولها علاقة تقاطعيه بين أهالي خان شيخون والعالم المتابع لتلك المجزرة عبر وسيط هو وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي من جهة، ومنطق سياسي، ودولي، وإقليمي مختلف للمجزرة من جهة أخرى. إنّ حدثًا بمثل مجزرة خان شيخون أصبح له واقع رمزي في اللحظة التي جرى تداولها في وسائط إعلامية، وأصبح له أيضًا وجود تاريخي في وعي المجتمعات العربية والدولية. في الوقت نفسه يتماشى (الفهم) مع المنطق الفردي للموضوع (سواء كان مع رواية معينة أم ضدها) أو المنطق الجمعي للمجتمعات المدنية والمؤسسات السياسية التي تتبنى خطابات واضحة حول تلك الأنواع من المجازر التي تصطدم في حقلها (الحقيقة) مع (الخطأ)، أي نظريات المؤامرة.

إنّ عملية التداول الإخباري للمجزرة أنشأت بُعدَين سيميائيين، هما «موضوع الحدث: مجزرة الكيماوي»، و«البعد الاجتماعي للحدث: مجزرة بحق البشرية». اعتمادًا على المخطط السابق سنحاول إعادة ترتيب مفهومات البعد السيميائي.

3- تفاعل الخطاب السياسي مع منطقه السياسي

إنّ وظيفة (سيميائية الحوادث السياسية) تبنى على تحديد منطق الخطاب السياسي، ومحور اشتغاله من خلال معطيات النص أو الخطاب ذاته وتفاعله مع مشكلة المكان والزمان. (الفعل) وقع و(الحدث) يروى بشروط المكان والزمان لتحديد سمات الهويات السياسية (الفاعل- المصلحة- المستفيد- التوافق- التناقض) [25].

سمات الهوية السياسية المختلفة تبنى على أساس منطق الحدث بعد حدوث (الفعل). نلاحظ على الدوام وجود منطق متناقض في بنية الرواية السياسية بسبب نوعية النص السياسي الذي هو نص براغماتي بطبيعته، وهي التي تسمح لنا بإيجاز معاينة النتائج، وتفحص مميزات بُناته، وتقصي دلالته المختلفة. سنحاول توضيح هذه الفكرة في مثال التصريح الروسي (المتحدث باسم وزارة الدفاع الروسية) حول حادثة خان شيخون.

[25] https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00604452/document

4- معاينة سيميائية لجزء من التصريح الرسمي الروسي بعد مجزرة خان شيخون

نشرت قناة روسيا اليوم للمتحدث باسم الخارجية الروسية، اللواء إيغور كوناشينكوف، وبحسب الترجمة الفورية للقناة الرسمية الروسية:

«قصف الطيران السوري أمس من الساعة 11.30 إلى 12.30 مستودعًا كبيرًا للإرهابيين يحتوي على أسلحة ومعدات عسكرية، ويوجد في محيطه ورشة لصناعة الألغام المشحونة بمواد سامة».

وأكمل أنّ «من هذا المخزون الواسع زُوّد المقاتلون في العراق بالأسلحة الكيمياوية التي أثبتت المنظمات الدولية والسلطات العراقية أكثر من مرة استخدام الإرهابيين لها»، (قناة روسيا اليوم) [26]

التحليل السيميائي لبنية التصريح

المكان	
مكان الحدث	**مكان التصريح**
- خان شيخون: في محافظة إدلب في سورية وهي المنطقة التي حصلت فيها مجزرة الأسلحة الكيمياوية. (المكان المباشر للحدث) -العراق: المكان المرتبط بمكان الحدث، ويقصد هنا أماكن وجود داعش في العراق.	- موسكو: عبر قناتها روسيا اليوم وبلسان المتحدث باسم وزارة الدفاع الروسية والمتكلم هو اللواء إيغور كوناشيكوف.

نلاحظ وجود تفاصيل وعناصر تفيد بمكان الحدث: «في محيطه ورشة لصناعة الألغام المشحونة....».

يمكن ترتيب الأماكن بالصورة الآتية:

مكان القصف (قصف الطيران السوري) ⟵ محيط مكان القصف (الورشة) ⟵ مكان مواد الورشة المصدرة (العراق).

[26] https://www.alaraby.co.uk/politics/2017/4/ 5

جاء ترتيب تلك الأماكن من وزارة الدفاع الروسية، وهي حليف النظام السوري، أي من موسكو، التي حرصت على إدراج وترتيب منطقية الحوادث. الجملة الثانية للمتحدث هي جملة خبرية تفيد وتدل على علاقة مكان منشأ تصدير مواد الورشة بتلك (الجماعات الإرهابية) الموجودة في العراق، وهو مصدر كارثة أخرى أثبتتها المنظمات الدولية بحسب كوناشيكوف. بهذا التصريح نلاحظ عملية وصل المكانين بحوادث بينية منطقية روسية وسورية لمحاربة التنظيمات الإرهابية، وهي رسالة لدور هذا المحور في (محاربة الإرهاب) أي نحن جنبًا إلى جنب في محاربتنا للجماعات الإرهابية.

صناعة العدو: مقاربات (المطلق) و(النسبي) بحسب أمبرتو أيكو[27]

في كتابه (صناعة العدو)، تحدث (أمبرتو إيكو) عالم اللسانيات والسيميائيات الإيطالي عن نظريته (المطلق والنسبي) في منطق الحروب، فتناول كيفية تحديد عدو مطلق للمجتمع، وعدو نسبي يفيد التبرير والتصنيف، أي الأول وهو المطلق، والثاني وهو النسبي. في حالة التصريح الروسي، نلاحظ أن النسبي والمطلق دُمِجا في آن معًا؛ وذلك بخلق علاقة بين داعش والجماعات الإرهابية التي قصفها الطيران السوري. أي دُمج العدو العالمي المطلق (داعش) بالعدو الروسي- السوري في قالب واحد. تلك هي رسالة المتحدث الرسمي الروسي. لذلك في بعض الأحيان يكون العدو النسبي هو الأكثر خطرًا، بل يصبح هو المطلق، لأن المطلق في البراغماتية السياسية موجود ضمن شروط النسبية. بل إنّ العدو (النسبي) أصبح (مطلقًا) وواحدًا عندما دمج الاثنان في آن معًا، بحسب هذا التصريح.

وعليه -بحسب أيكو- فإنّ وجود النسبية مرافق للمطلق، يعني وجود إنكار لشروط المطلق، أي نفي للحقيقة.

والسؤال الجوهري: لماذا وجدت آثار للنسبية في التصريح الروسي؟ لأن الوجود الروسي في سورية لا يبنى على محاربة العدو العالمي (المطلق) بل على حالة الدمج بين (المطلق) و(النسبي)، بسبب تعقيدات التحالفات الدولية والإقليمية، إضافة إلى مرحلة انسحاب (الإرادة) الأميركية في عهد أوباما من منطقة الشرق الأوسط. ومحاولة الدمج الروسية تعطي فرصة لكي تفرض موسكو نظرتها وخطها الاستراتيجي في تحديد عدوها بعد وصول ترامب إلى السلطة، والرسالة هي أنّ تلك الجماعات الإرهابية التي قُصفَت هي التي تُصدر للعدو المطلق (داعش) المواد السامة. وعلينا أن نضع في الحسبان دائمًا أن التصنيف يكون على سبيل التغليب الذي يبرز عنصرًا على حساب عناصر أخر، وبعكس الدمج الذي لا يأبه بالتصنيف ولا بالتحديد. وعليه، يمكننا أن نستنتج من هو (العدو المطلق) بالنسبة إلى الروس والنظام السوري.

---

[27] Umberto Eco, Construire l'ennemi, (Grasset, paris, 2014), p.304.

خاتمة

ثمة محاولات عدة وحديثة تحاول إعادة قراءة النصوص السياسية بطريقة حل التعارض الواضح بين المحور الفكري الأيديولوجي والمحور البراغماتي، وهي نظرة تعتمد على إهدار السياق. مشكلة النص السياسي هي مشكلة النص الديني أيضًا من حيث تحليل مشكلة تأويل المقدس والدنيوي وقراءته، الأيديولوجي والطوباوي، السياسي والاجتماعي، ولا نقصد هنا جعل النص السياسي أو تحويله إلى نص ديني، إنما التركيز على القراءة والتأويل. Vladimir Propp, Morphologie du conte, (Seuil, Paris,1928) فالسيميائية قد تخلصنا من القراءات التلوينية التي تسعى إلى التبسيط لإرضاء الجماهير أو الاختباء وراء التناقضات الفكرية التي تطرحها السياسة بمفهومها الشامل بالتحليل والتأمل.

المصادروالمراجع

المراجع باللغة العربية

1- أبو زيد. نصر حامد، الاتجاه العقلي في التفسير، ط3، (بيروت: المركز الثقافي العربي, 1996).

2- النص والسلطة والحقيقة، ط5، (بيروت: المركز الثقافي العربي, 2006).

3- أركون. محمد، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، (د.م، د.ت).

4- حنفي. حسن، من النص إلى الواقع، (د.م، د.ت).

المراجع باللغة الفرنسية

1- Amir. Biglari , Entretiens sémiotiques, (Université de Luxembourg, 2014).

2- Arendt. Hannah, La crise de la culture,(folio, Paris,1961).

3- Bonhomme. Marc, Pragmatique des figures de discours, (Honoré des Champion, Paris,2005).

4- Bourdieu. Pierre, Ce que parler veut dire, (Fayard, Paris, 1982).

5- Du sens Greimas. A.J, Essais sémiotique, (Seuil, Paris, 1970).

6- Eco. Umberto, Les limites de l'interprétation, (Grasset, Paris).

7- Lector in fabula, (Seuil, Paris, 1989).

8- Construire l'ennemi, (Grasset, paris, 2014).

9- Panier. Louis & Jean-Claude Giroud, Analyse sémiotique des textes, (Presse Universitaires de Lyon, 1977).

10- Ricœur. Paul, Le conflit des interprétations, essais d'herméneutique, (Seuil, Paris, 1969).

11- Ricœur. Paul, Idéologie et utopie, 2005, (Seuil, Paris,2005).

12- Sandré. Marion, Analyses du discours et contextes, (Université de Limoges,2007).